الفصل الثالث

عمر والقرآن والسنة والسلف

إن أصالة الثقافة وصحة التربية وسلامة المعرفة التي تربى عليها عمر في نشأته وشبابه : هي التي بوأته أن يكون سليم الخطة ، مستقيم المنهج ، راشدي السياسة في أثناء ولايته على الحجاز ، وبعد استخلافه على المسلمين .

فهولم يكن مبتدعاً في الدين ، ولا مبتكراً شيئاً غير معروف ، وإنما كان متبعاً سيرة المسلمين الأوائل في صدر الإسلام ، وسيرتهم : هي اتباع القرآن والسنة النبوية .

كان مجدداً مصلحاً من أعظم المجددين والمصلحين ، ولكن ليس تجديده عبقرية فذة تفتقت عنها أفكاره ، وابتدعتها آراؤه ، وإنما كان ملتزماً سيرة السلف الصالح بعد أن ابتعد عنها أحياناً من سبقه من الخلفاء.

أعاد الى النفس الثقة بعدالة الإسلام ، وأضفى على البيئة هيمنة الدين المنقذ بحق من الظلمات الى النور ، وفرض هيبة القرآن ، وحبَّ السنة ، واقتفاء آثار العاملين المخلصين .

أحدث دوياً غير منتظر ، وهزة في تقاليد الحكم غير مرتقبة ، وثورة إصلاحية شديدة ضد الفساد والانحراف ، والتحلل من سيادة الشرع الإلهي ، ومحاولة

obeikandl.com

التهرب أو التفلت البطيء التدريجي من التطبيق الدقيق الكامل لمبادىء وأحكام القرآن والسنة .

فكان بحق مجدِّد القرن الثاني الهجري ، ومنقذ الناس من دركات التخلي عن منهج الاستقامة والهدي الإلهي ، فهو كالمطر الذي يغيث النبات ويحيي الأرض ، وهو الرحمة التي بعث بها الأنبياء ، وهو الخير الذي جاء به الأنبياء .

لذا تواترت الأخبار في أنه رضوان الله عليه كان هو المجدد الثقة ، وهو المصلح السائر على قدم الأنبياء ومنهج المرسلين ، قال ميمون بن مهران : إن الله عز وجل كان يتعاهد الناس بنبي بعد نبي ، وإن الله عز وجل تعاهد الناس بعمر بن عبد العزيز [1]

وهو الذي انطبق عليه بحق معنى الحديث النبوي الصحيح : «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة ، على رأس كل مائة سنة ، من يجدد لها دينها» [1].

نفخ في الناس روح الغيرة على أحكام الله ، وبعث في النفوس دوافع العمل بكتاب الله ، وحمل الناس على الشريعة امتثالاً وتعلماً والتزاماً ، وجدد بحق حب الدين وحب إطاعة الأوامر الإلهية ، واجتناب النواهي والمحظورات الشرعية .

شهد له الثقات بما فعل ، وذاع بين الناس صدق خبر النبي ، وحمله تماماً على الخليفة عمر بن عبد العزيز في رأس المائة الثانية للهجرة ، قال الإمام أحمد : «يروى في الحديث : إن الله يبعث على رأس كل مائة عام من يصحح لهذه الأمة دينها ، فنظرنا في المائة الأولى ، فإذا هو عمر بن عبد العزيز ، ونظرنا في المائة الثانية ، فنراه الشافعي» .

---

(١) حلية الأولياء : ٥/ ٣٣٩ ، أخبار عمر للآجري : ص ٧٦

(١) رواه أبو داود والحاكم والبيهقي في المعرفة عن أبي هريرة

وقال في رواية أخرى : «إن الله تعالى يقيض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنة ، وينفي عن رسول الله ﷺ الكذب ، فنظرنا : فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز ، وفي رأس المائتين الشافعيّ»[1] .

عقب ابن كثير على ذلك قائلاً : إنه ـ أي عمر ـ كان أولى من دخل في ذلك وأحق ، لإمامته وعموم ولايته ، وقيامه واجتهاده في تنفيذ الحق ، فقد كانت سيرته شبيهة بسيرة عمر بن الخطاب ، وكان كثيراً ما تشبه به .

ووجه الشبه أنه حمل الناس على الشريعة ، فقال قولته السابقة في بحث تشجيع العلم والعلماء : «إن للإسلام حدوداً وشرائع وسنناً ، فمن عمل بها استكمل الإيمان ، ومن لم يعمل بها لم يستكمل الإيمان ، فإن أعِشْ أعلّمكموها وأحملكم عليها ، وإن أمت ، فما أنا على صحبتكم بحريص»[2] .

وفي آخر عبارته ما يشعر بأن مقاومة الإصلاح الذي استهدفه كانت شديدة، وأن الناس اعتادوا أموراً أقل مايقال عنها : إنها تساهل في التزام أمر الله ، ويؤكد ذلك قول إياس بن معاوية بن قرة[3] : ماشبهت عمر بن عبد العزيز إلا برجل صَنَاع حسن الصنعة ، ليس له أداة يعمل بها ، يعني لايجد مَنْ يعينه .

وكان منهجه الإصلاحي يتمثل في أمور ثلاثة : هي العمل بالكتاب والسنة ، وإحياء السنة وإماتة البدعة ، واتباع سيرة الخلفاء الراشدين .

١ ـ العمل بالكتاب والسنة :

حرص عمر حرصاً شديداً على اتباع الكتاب والسنة والعمل بهما ، والسير على منهاجهما في الحياة العامة والخاصة ، وفي سياسة الحكم ، حتى ولو أضرّ به ،

---

(١) سيرة ابن الجوزي في صفة الصفوة : ٢/ ٦٤ ، البداية والنهاية : ٩/ ٢٠٧
(٢) ابن عبد الحكم : ص ٦٤
(٣) تاريخ الخلفاء : ص ٢٣٩

وهدد مركزه بين أسرته وأقاربه ، أو عند بعض النفعيين أو الانتهازيين . فكان يقول ـ وأكرر أقواله في مناسبات مختلفة يقتضيها المقام ـ

ياليتني قد عملت فيكم بكتاب الله ، وعمِلتم به ، فكلما عملت فيكم بسنةٍ وقع مني عضو ، حتى يكون آخر شيء منها خروج نفسي (١)

وقد عرفنا سابقاً مدى اهتمامه بالقرآن ، فإنه جمع القرآن وهو صغير ، وكان يردد آياته آناء الليل وأطراف النهار ، عملاً بما رواه أبوه عبد العزيز بن مروان عن أبي الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«إذا خشي أحدكم نسيان القرآن فليقل : اللهم ارحمني بترك المعاصي أبداً ما أبقيتني، وارحمني بترك ما لا يعنيني، وارزقني حسن النظر فيما يرضيك عني، وألزم قلبي حفظ كتابك كما علمتني ، ونور به بصري ، واشرح به صدري ، واجعلني أتلوه كما يرضيك عني ، وافتح به قلبي ، وأطلق به لساني» .

وكان دأبه العناية بفهم القرآن والسنة ، والاستفادة منهما ، والإعراض عما سواهما ، قال الحجاج بن عنبسة: اجتمع بنو مروان فقالوا : لو دخلنا على أمير المؤمنين ، فعطفنا عليه بالمزاح ، فدخلوا ، فتكلم رجل منهم فمزح ، فنظر إليه عمر ، فوصل له رجل كلامه بالمزاح ، فقال : لهذا اجتمعتم ؟ لأخسُّ الحديث ، ولما يورث الضغائن ؟ إذا اجتمعتم فأفيضوا في كتاب الله ، فإن تعدَّيتم ذلك ففي السنة عن النبي ﷺ ، فإن تعديتم ذلك فعليكم بمعاني الحديث (٢)

وكان ميزانه في اختيار الولاة هو صلاح الإنسان واتباعه القرآن ، دعا عمرو بن مهاجر الأنصاري وقال :

---

(١) ابن عبد الحكم : ص ١٤٧

(٢) تاريخ الخلفاء : ص ٢٣٩ ، حلية الأولياء : ٥/ ٢٧٢ ومابعدها

ياعمرو ، والله لتعلمَنّ أنه ما بيني وبينك قرابة إلا قرابة الإسلام ، ولكن سمعتك تكثر تلاوة القرآن ، ورأيتك تصلي في موضع تظن ألا يراك أحد ، فرأيتك تحسن الصلاة ، وأنت رجل من الأنصار ، خذ السيفَ ، فقد وليتك حرسي [1]

وأوصى ميمون بن مهران وصية قائلاً له : إني موصيك بوصية فاحفظها ، إياك أن تخلو بامرأة غير ذات محرم، وإن حدثتك نفسك أن تعلمها القرآن[2]. وكتب الى عماله : اجتنبوا الاشتغال عند حضرة الصلاة ، فمن أضاعها فهو لما سواها من شعائر الإسلام أشد تضييعاً[3] .

وحينما ولي الخلافة انصرف عن مظاهرها ، وأقبل على إحياء الكتاب والسنة ، فاحتجب عن الناس ثلاثة أيام ، لايدخل عليه أحد ، ووجوه بني مروان وبني أمية ، وأشراف الجنود والعرب ، والقواد ببابه ينظرون مايخرج عليهم منه ، فجلس للناس بعد ثلاث ، وحملهم على شريعة من الحق فعرفوها ، فردّ المظالم وأحيا الكتاب والسنة ، وسار بالعدل ، ورفض الدنيا وزهد فيها ، وتجرد لإحياء أمر الله عز وجل ، ولم يزل على ذلك حتى قبضه الله[4]

٢ ـ إحياء السنة وإماتة البدعة :

لم يكن اهتمام عمر بالسنة أقل من اهتمامه بالقرآن ، وإنما كان همه إحياء السنن الفعلية بين الناس ؛ لأنها تمثل القرآن ، وترشد إليه ، وتدور في فلكه ومحوره ، دخل عليه ابنه عبد الملك يوماً فقال :

يا أمير المؤمنين ، ما أنت قائل لربك غداً إذا سألك ؟ فقال : رأيتَ بدعة فلم تمتها ، أوسنة فلم تحيها ؟

(١) تاريخ الخلفاء : ص ٢٤٠
(٢) حلية الأولياء : ٥/٢٧٢ ، ٣٤٥
(٣) حلية الأولياء : ٥/٣١٦
(٤) ابن عبد الحكم : ص ٤٠

فقال أبوه : رحمك الله وجزاك من ولد خيراً ! يابني إن قومك قد شَدُّوا هذا الأمر عقدة عقدة ، وعُروة وعروة ، ومتى أردتُ مكابرتهم على انتزاع مافي أيديهم لم آمن أن يفتقوا عليَّ فتقاً تكثر فيه الدماء ، والله لَزوال الدنيا أهونُ علي من أن يُراق في سببي محجمة من دم ، أو ما ترضى ألا يأتي على أبيك يوم من أيام الدنيا إلا وهو يميت فيه بِدْعة ، ويحيي فيه سُنّة ؟[1]

وكان في خطبه حريصاً على افتتاحيات خطب النبي ﷺ من الحمدلة والاستعانة بالله ، والاستغفار وتوابعها ، قال عبدالله بن العَلاَء : سمعت عمر بن عبد العزيز يخطب في الجمع بخطبة واحدة يرددها ويفتتحها بسبع كلمات :

الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يَهْدِه الله فلا مضلَّ له ، ومن يضلله فلا هادي له[2] ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، من يطع الله ورسوله فقد رشَد ، ومن يعص الله ورسوله فقد غوى ، ثم يوصي بتقوى الله، ويتكلم، ثم يختم خطبته الأخيرة بهؤلاء الآيات: ﴿يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم، لا تقنطوا من رحمة الله، إن الله يغفر الذنوب جميعاً إنه هو الغفور الرحيم﴾[3] (الآيات ٥٣ ـ ٥٩ من سورة الزمر).

وأعلن مراراً عن خطته في إغناء الفقراء والمساكين ، متبعاً في ذلك السنة النبوية ، خطب الناس يوماً ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم تلا آيات من كتاب الله ، ثم قال :

---

(١) تاريخ الخلفاء : ص ٢٤٠ ، حلية الأولياء : ٥/ ٢٨٢ ومابعدها ، صفة الصفوة : ٢/ ٧٢-٧٣

(٢) الهداية هنا بمعنى أن يوفق الله العبد إلى سلوك سبيل الهداية بعد اتجاه إرادة العبد واختياره الحر في أن يكون من أهلها ، والإضلال هنا بمعنى أنه تعالى يسهل لعبده سلوك سبيل الضلالة ، ويمدّ له فيها بعد أن تتجه إرادة العبد الحرة إلى سلوك سبيل الضلالة .

(٣) تاريخ الخلفاء : ص ٢٤١ ، حلية الأولياء : ٥/ ٣٠٢ .

obeikandl.com

أيها الناس ، إني قد وجدت هذا القلب لايعبر عنه إلا باللسان ، ولعمري - وإن لعمري مني لحق - لوددت أنه ليس من الناس عبد ابتلي بسعة إلا نظر قطيعاً من ماله ، فجعله في الفقراء والمساكين واليتامى والأرامل ، بدأت أنا بنفسي وأهل بيتي ، ثم كان الناس بعد .

ثم كان آخر كلمة تكلم بها حين نزل : لولا سنة أحييها ، أو بدعة أميتها ، لم أبال ألا أبقى في الدنيا فُوَاقاً(١) .

ولم يكن يرى التهنئة بالعيد بدعة ، قال ابراهيم بن أبي عَبْلة : دخلنا على عمر بن عبد العزيز يوم العيد ، والناس يسلّمون عليه ويقولون : تقبّل الله منا ومنك يا أمير المؤمنين ، فيرد عليهم ولا ينكر عليهم(٢) .

وقد أغنى عمر رضي الله عنه الناس في عهده ، مما لم يتكرر في التاريخ ، حتى لم يجد عامله في أفريقية من يأخذ منه الصدقة بعد أن ينادى بها . قال يحيى بن سعيد : بعثني عمر بن عبد العزيز على صدقات أفريقية ، فاقتضيتها ، وطلبت فقراء نعطيها لهم ، فلم نجد بها فقيراً ، ولم نجد من يأخذها مني ، قد أغنى عمر بن عبد العزيز الناس ، فاشتريت بها رقاباً ، فأعتقتهم ، وولاؤهم للمسلمين (٣) . وسيأتي تكرار هذا القول في مناسبة أخرى .

وقد وزع عمر في الأمصار والولايات خطاباً كتبه لولاته ليعرف الناس سياسته ومنهجه القائم على العمل بالكتاب والسنة ، وضرورة إحياء العمل بهما ، فقال في مطلع هذا الكتاب(٤) :

أما بعد ، فإني أوصيكم بتقوى الله ولزوم كتابه ، والاقتداء بسنة نبيه ﷺ وهديه ، فإن الله قد بين لكم ما تأتون وما تتقون ، وأعذر إليكم في الوصية ، وأخذ

---

(١) حلية الأولياء : ٥/٢٩٧ ، والفواق : مابين الحلبتين من الوقت .

(٢) تاريخ الخلفاء : ص ٢٤١

(٣) ابن عبد الحكم : ص ٦٩

(٤) ابن عبد الحكم : ص ٦٩ - ٨٠

عليكم الحجة حين أنزل عليكم كتابه الحفيظ الذي ﴿لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد﴾ قال: ﴿وبالحق أنزلناه وبالحق نزل، وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً﴾ وقال: ﴿ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم، هدى ورحمة، لقوم يؤمنون﴾ .

فأقيموا فرائضه ، واتبعوا سننه ، واعملوا بمُحكمه ، واصبروا أنفسكم عليه ، وآمنوا بمتشابهه، فإن الله علمكم منه ما علمكم، وأوّلكم يومئذ أقل الناس شوكة ، وأوهنه قوة ، وأشده فرقة ، وأحقره عند من سواهم من الناس مَحْقِرَة . . »الخ .

وكان أول حرص عمر على التزام السنة هو إتقان الصلاة وأداؤ ها على النحو الدقيق الذي كان يصليها رسول الله ﷺ ، قال زيد بن أسلم : كان يتمّ الركوع والسجود ، ويخفف القيام والقعود (١).

وسبق لدينا ما قاله أنس بن مالك رضي الله عنه: ماصلّيت وراء إمام بعد رسول الله ﷺ أشبهَ صلاةً برسول الله ﷺ من هذا الفتى ـ يعني عمر بن عبد العزيز ـ وهو أمير على المدينة (٢).

وقد اطمأن الناس في خلافته ، وهدأت الأوضاع والفتن ، وانعدم القلق والاضطراب ، وساد السلام العام والاطمئنان التام ، بسبب اتباعه السنة ، فلما استخلف قام في الناس ، فحمد الله وأثنى عليه ، ثم قال (٣)، وستأتي الإشارة إليه في مناسبة أخرى :

---

(١) رواه البيهقي في سننه وغيره .

(٢) البداية والنهاية : ٩/ ١٩٤ ، ابن عبد الحكم : ص ٣٣ ، فوات الوفيات : ٢/ ٢٠٧ ، تاريخ الخلفاء : ص ٢٣٠ .

(٣) تاريخ الخلفاء : ص ٢٣١ ، حلية الأولياء : ٥/ ٢٩٥ ومابعدها ، البداية والنهاية : ٩/ ١٩٨ ـ ١٩٩

«أيها الناس، إنه لا كتاب بعد القرآن، ولا نبي بعد محمد عليه الصلاة والسلام ، ألا وإني لست بقاض ، ولكني منفذ ، ولست بمبتدع ، ولكني متبع ، ولست بخير من أحدكم ، ولكني أثقلكم حملاً ، وإن الرجل الهارب من الإمام الظالم ليس بظالم ، ألا لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»

بل إن الذئاب في البراري عايشت الأغنام بسلام في عهده، قال حسن القصاب ـ ويحلو لي تكرار هذا الكلام ـ: رأيت الذئاب ترعى مع الغنم بالبادية في خلافة عمر بن عبد العزيز، فقلت: سبحان الله! ذئب في غنم لا يضرها؟ فقال الراعي: إذا صلح الرأس فليس على الجسد بأس.

وقال مالك بن دينار : لما ولي عمر بن عبد العزيز ، قالت رعاء الشاء : مَنْ هذا الصالح الذي قام على الناس خليفة ؟ عدله كفَّ الذئاب عن شائنا[1] .

٣ ـ اتباع سيرة الخلفاء الراشدين :

أحب عمر حباً ملك عليه شغاف قلبه الخلفاء الراشدين : أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً ، وفكر ملياً في الساعات الأولى من خلافته ، فوجد أن أمثل طريق هو الاقتداء بسيرة الخلفاء الراشدين ، لذا كتب ـ كما نقلت سابقاً ـ الى سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب يطلب منه موافاته بمنهج الراشدين فقال[2] :

أما بعد ، فإن الله تبارك اسمه وتعالى جده ابتلاني بما ابتلاني به من أمر عباده وبلاده ، أسأله أن يحسن عوني وعاقبتي وعاقبة من ولاني أمره ، وقد رأيت أن أسير في الناس بسيرة عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إن قضى الله ذلك واستطعت إليه سبيلاً ، فابعث إلي بكتب عمر وقضائه في أهل القبلة وأهل العهد ، فإني متبع أثره ، وسائر بسيرته إن شاء الله ، وأسأل الله التوفيق لما يحب ويرضى .

---

(١) صفة الصفوة :٢/ ٦٧/ تاريخ الخلفاء : ص ٢٣٣ ، البداية والنهاية : ٩/ ٢٠٣

(٢) أخبار عمر للآجري : ص ٧٠ ومابعدها

وله خطبة أخرى توضح منهاجه في العمل بالسنة ومنهج الشيخين أبي بكر وعمر، فقال: «ألا إن ما سنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصاحباه فهو دين نأخذ به ، وننتهي اليه ، وماسنّ سواهما فإنا نرجئه» [1] .

وقال عمر أيضاً : سنّ رسول الله ﷺ وولاةُ الأمر من بعده سنناً الأخذُ بها اعتصام بكتاب الله ، وقوةٌ على دين الله ، ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ، ولا النظر في أمر خالفها ، من اهتدى بها فهو مهتدٍ ، ومن استنصر بها فهو منصور ، ومن تركها واتبع غير سبيل المؤمنين ، ولاه الله ما تولى وأصلاه جهنم ، وساءت مصيراً .

قال الإمام مالك : وأعجبني عزم عمر في ذلك[2] . فهذا يدل على التزامه إجماع السلف واتباع سيرة الجماعة الأولى في صدر الإسلام .

وجاء رجل الى عمر بن عبد العزيز ، فقال : لقد رأيت النبي ﷺ في النوم ، وأبو بكر عن يمينه وعمر عن شماله ، فإذا رجلان يختصمان وأنت بين يديه جالس ، فقال لك : ياعمر ، إذا عملت فاعمل بعمل هذين ، لأبي بكر وعمر . وقيل : إن عمر هو الذي رأى هذا المنام [3] . وسوف يشار إلى هذه الرؤ يا في مناسبة أخرى .

وامتلأ قلب عمر بن عبد العزيز حباً بالمتابعة واقتفاء آثار ومناهج ماكان عليه الصحابة جميعاً رضوان الله عليهم ، فكتب الى عامل له :

أما بعد ، فإني أوصيك بتقوى الله واتباع سنة رسوله ، والاقتصاد في أمره ، وترك ما أحدث المحدثون بعده ، ممن قد حارب سنته ، وكفوا مؤ نته .

ثم اعلم أنه لم تكن بدعة إلا وقد مضى قبلها ماهو دليل على بطلانها ـ أو قال: دليل عليها ـ فعليك بلزوم السنة، فإنه إنما سنها من قد علم ما في خلافها من

---

(١) تاريخ الخلفاء : ص ٢٤١ .

(٢) ابن عبد الحكم : ص ٤١

(٣) فوات الوفيات : ٢/٢٠٨ .

الزيغ والزلل ، والحمق والخطأ والتعمق ، ولهم كانوا على كشف الأمور أقوى ، وعلى العمل الشديد أشد .

وإنما كان عملهم على الأسَدّ ، ولو كان فيما تحملون أنفسكم فضل ، لكانوا فيه أحرى ، وإليه أجرى ؛ لأنهم السابقون الى كل خير .

فإن قلت : قد حدث بعدهم خير ، فاعلم أنه إنما أحدثه من قد اتبع غير سبيل المؤمنين ، وحاد عن طريقهم ، ورغبت نفسه عنهم ، ولقد تكلموا منه ما يكفي ، ووصفوا منه ما يشفي ، فأين لا أين ، فمن دونهم مقصر ، ومن فوقهم غير محسن ، ولقد قصر أقوام دينهم فحفوا ، وطمح عنهم آخرون فغلوا(١) .

لكن فتن عمر بحب جده لأمه عمر بن الخطاب منذ ريعان الشباب ، وأثار انتباهه لاتباع سيرة ابن الخطاب خطبة خطبها الخليفة التقي معاوية بن يزيد (٦٤هـ/ ٦٨٤م) حينما خرج على الناس وهو في مرضه الأخير أو في خطاب اعتزاله الخلافة فقال :

«أما بعد ، فإني قد ضعفت عن أمركم ، فابتغيت لكم مثل عمر بن الخطاب حين استخلفه أبو بكر ، فلم أجده ، فابتغيت ستة الشورى فلم أجدهم ، فأنتم أولى بأمركم ، فاختاروا له من أحببتم» .

ففكر عمر فيما أهّل ابن الخطاب لهذه المنزلة الرفيعة في قلوب الناس ، ثم أدرك أن ابن الخطاب حاسب نفسه قبل أن يحاسب عماله وقادته ورعيته ، وأنه استغل دنياه لآخرته ، وفطم نفسه عن الشهوات ، فصمم على اقتفاء أثره واتباع منهجه ، بشدة لا تعرف اللين ، وحزم لا يعرف التراجع ، ومعرفة لا يتطرق إليها الجهل والشك ، وأيقن أن المبدأ الأساسي في الحكم هو أن الناس جميعاً عنده سواء .

---

(١) البداية والنهاية : ٩/ ٢١٦ ، وقد روى ذلك الطبراني والدارقطني وغيرهما .

ومن هنا طلب من سالم بن عبدالله ـ كما ذكر سابقاً ـ موافاته بسيرة ابن الخطاب ، فكتب إليه بالذي سأل ، وقال له :

إنك إن عملت بمثل عمل عمر في زمانه ورجاله في مثل زمانك ورجالك ، كنت عند الله خيراً من عمر [1].

وكان عمر يعظم السلف وآل النبي ﷺ ،وكان سبب محبته علياً كرم الله وجهه أنه قال : كنت أتعلم العلم ، وكنت ألزم عبيد الله بن عبدالله بن عُتْبة بن مسعود ، فبلغه عني شيء من ذلك (أي أنه ينتقص علياً) فأتيته يوماً وهو يصلي ، فأطال الصلاة ، فقعدت أنتظر فراغه ، فلما فرغ من صلاته ، التفت علي ، فقال لي :

متى علمت أن الله غضب على أهل بدر وبيعة الرضوان بعد أن رضي عنهم ؟

فقلت : معذرة الى الله وإليك ! وتركت ما كنت عليه .

وكتب عمر إلى أمراء الأجناد في النهي عن الصلاة على الخلفاء والأمراء والأمر بالدعاء للمسلمين عامة ؛ ففي آخر كتابه : « . . ثم ليصلوا على المؤمنين والمؤمنات ، وليستنصروا الله ، ولتكن مسألتهم عامة للمسلمين ، وليدعَوا ما سوى ذلك»[2] . ويشار إلى هذا الكلام في موضع آخر تأكيداً لسمو المبدأ والتزام الخلق الاسلامي .

٤ ـ أمر عمر بتدوين السنة :

لو لم يكن لعمر بن عبد العزيز فضل كبير أو أثر عظيم في التاريخ غير العناية بتدوين السنة النبوية لكفاه فخراً ، إنه ندب العلماء إلى تدوينها على نحو كامل

(١) تاريخ الخلفاء : ص ٢٣١
(٢) ابن عبد الحكم : ص ٩١ .

دقيق ، وكان لوالده عبد العزيز بن مروان (٨٥هـ) أمير مصر بداية طيبة في هذا المضمار ، كما ذكر ابن سعد في طبقاته ، فقد طلب من كثير بن مرة الحضرمي أحد أعلام التابعين في حمص أن يكتب إليه بما سمع من أصحاب رسول الله ﷺ من أحاديثهم ، وذلك في سنة ٧٥هـ [١] .

أما في عهد عمر وما قبله، فكان الناس يعتمدون في نقل الحديث وروايته على الحفظ والاستظهار ، فلما قل الحفاظ ، وتفرق العلماء في الأمصار ، وقل الضبط ، أدرك عمر الحاجة الشديدة الى تدوين الحديث . قال ابن حجر في فتح الباري في باب كتابة العلم : «وأول من دون الحديث ابن شهاب الزهري على رأس المائة» بأمر عمر بن عبد العزيز ، ثم كثر التدوين والتصنيف ، وحصل بذلك خير كثير» والظاهر أن أمر عمر بن عبد العزيز بتدوين الحديث النبوي كان تكليفاً عاماً للعلماء في مختلف الآفاق ، قائلاً : «انظروا حديث رسول الله ﷺ فاجمعوه» [٢] وقال أيضاً «فأمروا أهل العلم أن ينتشروا في مساجدهم ، فإن السنة كانت قد أميتت» [٣] .

وكان الأمر الخاص بالتدوين هو ما صدر منه الى أهل المدينة قائلاً : «انظروا حديث رسول الله ﷺ فاكتبوه ، فإني خفت دروس العلم وذهاب أهله» [٤]

وخص عمر في أثناء خلافته أبا بكر بن محمد بن عمرو بن حزم (١١٧هـ) عامله على المدينة بقوله :

«اكتب إلي بما ثبت عندك من الحديث عن رسول الله ﷺ ، وبحديث عمرة ، فإني خشيت دروس العلم وذهابه» [٥] .

---

(١) انظر السنة قبل التدوين : ص ٣٢٨ ومابعدها ، والوجيز في علوم الحديث للدكتور محمد عجاج الخطيب : ص ١٥٨ ومابعدها

(٢) فتح الباري : ١/ ٢٠٤

(٣) المحدث الفاصل : ص ١٥٣

(٤) سنن الدارمي : ١/ ١٢٦

(٥) سنن الدارمي : ١/ ١٢٦

obeikandl.com

وفي رواية : «فإني خفت دروس العلم وذهاب العلماء ، ولا تَقْبل إلا حديث النبي ﷺ ، وليفشُوا العلم ، وليجلسوا حتى يعلم من لايعلم ، فإن العلم لايهلك حتى يكون سراً» [1] .

وفي رواية : أمره أن يكتب له العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن (٩٨هـ) والقاسم بن محمد (١٠٧هـ) فكتب له .

وكذلك أمر ابن شهاب الزهري (١٢٤هـ) وغيره بجمع السنن ، كما بينا .

وتم الهدف ، وتحققت أمنية عمر في الحفاظ على السنة النبوية وحفظها للأجيال ، فهو بعمله هذا يشبه فعل أبي بكر بجمع القرآن الكريم في صحف خاصة واحدة ، وفعل عثمان بن عفان بجمع القرآن على حرف واحد وبلغة قريش وبلهجة واحدة في ست نسخ حتى لا يختلف الناس في تلاوة القرآن اختلاف اليهود والنصارى .

وقد شارك عمر العلماء في مناقشة بعض ماجمعوه ، قال أبو الزناد : «رأيت عمر بن عبد العزيز جمع الفقهاء ، فجمعوا له أشياء من السنن ، فإذا جاء الشيء الذي ليس العمل عليه ، قال : هذه زيادة ليس العمل عليها» [2] . وأصبح أول تدوين رسمي للحديث منسوباً لعمر ، وقال العلماء : «وأما ابتداء تدوين الحديث ، فإنه وقع على رأس المائة في خلافة عمر بن عبد العزيز» [3] .

---

(١) فتح الباري: ١/ ٢٠٤

(٢) قبول الأخبار : ص ٣٠

(٣) تدريب الراوي للسيوطي : ص ٤٠